# خواطر الشهر...

ان حاجات الانسان الضرورية في الحياة بسيطة لا تتطلب كداً وجهداً كبيرين . ولكن من امتدت مطامعه الى ماسواها ، تعب . وربما أودى به النصب ، فهلك .

يقول الفلاسفة الحكماء : « انه ما من شيء يحفظ للانسان صحته وقواه كالعيشة البسيطة البعيدة عن الشذوذ ، وما من شيء يؤذيه ويضنيه كما يؤذيه ويضنيه تناسي هذه القاعدة والتباعد عن الحياة الساذجة الفطرية » .

وهذا صحيح . فماذا الذي تحتاج اليه لتحيى ؟

— طعام مغذ ، ولباس عادي ، ومسكن صحي ، وشيء من الهواء ، وحركة لان الجمود والركود من طلائع الموت .

وليس فى ماذكرنا ، شيء كمالي . فهل انت قانع ؟

---

عليه وجداناً اكثر منه قانونا . وفى الامس وقعت حادثة فى مصر هى ان رجلاً اسمه عاشور تاجر فى الجيزة قد ذبح امرأته و بنتيه ذبح الاغنام من جراء ماحل فيه من ذهاب ماله فى سبيل القمار . فالتربية البيتية فى نظري اضمن للشخص في مستقبله من التربية المدرسية ونجد أثر ذلك بيناً فى العائلات المسيحية وما فيها من الدعة والصلاح .

واذا نشأ الشخص فى محيط محدق بالمجرمين فالعلم الذي يحصله يكيف نفسيته الى حب الاجرام وكيف يعرف ان يتملص من يد العدالة اكثر من المجرم الجاهل .



سل افراداً من الناس عن الحاجات الضرورية للحياة . أتدري ما الجواب ؟

اجوبة مختلفة تتضح لك منها الرغبات الشتى والاماني المتباينة . وانها لمنحصرة فى الاطعمة المختلفة ، والثياب المزخرفة ، والقصور المشيدة والحدائق الغناء ، والخمور ، والحلي من الذهب والفضة ، والسيارات والخيل المسومة ، والخدم والحشم ، والغواني العين . .

وما يحوز هذا و يظفر به الاكبار الرأسماليين فى العالم . ومن كان دونهم منزلة وثروة وهو طامح الى ماذكرنا ، بل واكثر منه ، تولاه الحقد فعاش مرغما على الكفاف ، ناقما ، نادبا سوء حظه .

***

الناس طبقات . ففي الطبقة العليا باصطلاح المجتمع العتيد ، ( الرأسماليون ) وهم يحيون حياة كلها بذخ وسفه واسراف . يحوطهم الخادمون والتابعون والاذناب ، كما تحوطهم قصورهم وسياراتهم وطياراتهم ويخوتهم [ جمع يخت . وهو من انواع البواخر الخفيفة ] و يلحق بهذه الطبقة ( المزارعون واهل الاملاك )

اما الطبقة الثانية ، ويسمونها طبقة الشعب . فتتألف من الصناع والعملة والفلاحين واهل الكفاف ، ومن اليهم . وعيش ابناء هذه الطبقة ضيق النطاق فهم معسرون دائما ابدا . وقد يتعذر على ابناء الطبقات الاخرى اعتياد ما فى عيشهم من شظف وما يلاقون فى حياتهم من نكد ، وألم ، وعذاب .

***

يقول الرصافي :

الناس من جهة التمثال اكفاء أبوهم آدم والام حواء

فهم — كما تعلم — في الخلق والتكوين سواء . النوع واحد ، والطينة

واحـــدة بيد انهم — كما نرى — صاروا يتفاوتون في الحاجات والتبذير في الكماليات ، وحب الظهور . على انه ليس من الصحيح ، وليس من اللازم للمجتمع الانساني ان تزداد مطالب ابنائه وتتكاثر حاجاتهم الى حد يكون المرء عنده مستنفداً كل قواه الحيوية وجهوده التي بذلها في سبيل الفوز بها ، أو ببعضها ، على الاقل .

لكن الرأسماليين يفعلون ذلك اليوم . ويفعلون اكثر منه . فهم يستنفدون قوى العمال وامثالهم من اخوتنا في الانســـانية ، وجهودهم في تلك السبيل .

أولم تر دابة من دواب الارض في حياتك ، حين تجوع ، فتشبعها ، فتراها تنام هادئة مطمئنة ، اثر الشبع ؟

بلى . ولكن لتعلم ان الانسان المليء لايهدأ له بال ان أثرى وامتلأت خزائنـــه الحديد . بل هو كلما ازداد غنى ازداد شرهاً وطمعاً وحرصا ، وجوعاً وعطشاً للمال .

والرأسماليون يحيون ليأكلوا وليشربوا ولينامواويلبسوا الحرير ، ويتنزهوا ، وليلهوا ويلعبوا ، وليعبدوا الشهوات العبادة المطلقة . فاما العمل على تقدم النوع البشرى ، واما الاشتغال بالعـــلم لخير الانسانية ، فنصيبي ونصيبك . ونحن وحدنا الذين يطالبهم المجتمع بالعفة والفضيلة والتقوى ، والرضى ، والقنـاعة !... « والقناعة كنز لايفنى » تقول تعـــاليم مكتبتنا القديمة .

***

والذى يؤسفنا هو ان نرى اناساً من هذه الطبقة المعسرة ، طبقة الشعب ، تقتلهم الرغبة في العيش مثل الموسرين من الطبقة العليا . فيخرجون عن



حدودهم وطاقتهم ، ليظهروا كذوي الجاه . فان كان اولئك يركبون السيارات الفخمة فهم على الاقل يركبون المركبات فى غدوهم ورواحهم ، وان كان فى انفاقهم اجورها ، الحرمان لعائلاتهم . وقد يقامرون على موائد الاغنياء ، فيزداد انفاقهم وتبديرهم ، فتسوء عقباهم ، فيسقطون في مهاوى السرقة ، وما هو أحط منها وأدنى .

وفى بغداد شاب تراه فتحسبه من ملوك المال . ذلك لانه يرتدى ثياباً غالية الثمن . ويأكل فى المطاعم الوسطى ، والعليا احيانا . فاذا ما بحثت عنه وجدته وأهـله من أدنى الناس . ولا تزال اخته تبيع البيض فى الاسواق ، وعلى قوارع الطرق . فهذا الفتى ليس له مروءة ولا شرف يدفعانه الى الحرص على الفتاة وسمعتها وعزتها المكسورة ، ونفسها المهانة التي يستطيع ان يرفعها ولو قليلاً من طريق الاقتصاد والامتناع عن الظهور بظواهر الموسرين . بل لقد أبى الا ان يفارق البيت الذى نشأ فيه فقيراً ، ليتخلص من وضاعة أهله ، ونفسه أدنى الى الضعة وأسفل .

وفي بغداد شاب آخر مثل هذا ، بل وآخرون .

وامثال هؤلاء كثيرون في اوربا . تكرههم طبقـة الشعب . وتنبذهم عن درجاتها ، فلا يستطيعون دخول حضيرة الطبقة العليا . وهكذا يبقون خارج دائرة الطبقات الاجتماعية ، كما يبقى ( النغل ) منبوذاً لا أب له .

***

ولطبقة الشعب شرف العمل . لا الشرف المزيف . فنحن معتزون بها ، نائلون شرفها ، عاملون معها في سبيل التقدم الانساني ، والحرية ، وسعادة الاجيال المقبلة ، وكفى .

بغـــداد :

محمود أحمد